رواية الشهر العدد

الانتظار

بقلم حضرة الكاتب الشهير والروائي القدير الاستاذ خليل افندي بيدس

... وبعد العشاء جلس الرجال في ردهة كبيرة يدخنون ويسامرون وكان حديثهم عن الثروة وحوادث الوراثة والغنى الفجائي

وكان بينهم رجل يناهز الخمسين من عمره ، ووقور الهيئة ذو أدب وظرف ، وهو محام من أنبغ المحامين ، فالتفت الى الجماعة وقال — اني في هذه الايام أبحث عن وارث اختفى فجأة على أثر حادثة أهلية بسيطة وهائلة في آن واحد ، وهي من الحوادث التي تجري يومياً في كل مكان ، غير أن الحادثة التي سأرويها لكم شأناً خاصاً كما سترون

فقد دعيت منذ ستة أشهر الى منزل سيدة نبيلة غنية ، وكانت في الساعة الأخيرة من حياتها ، فقالت لي : « دعوتك ياسيدي لأفضي اليك بأمر عظيم الاهمية وأعهد اليك في القيام به . وها وصيتي الاخيرة ، كتبتها قبل أن أغادر هذه الدنيا ، وأوصيت لك فيها بألف جنيه اذا سعيت ولم تنجح وبخمسة آلاف اذا نجحت . وهذه المهمة هي أن تفتش بعد وفاتي عن ابني فساعدني لأستوي في سريري ، وأقص عليك حديثي »

فساعدتُها وأجلستُها كما شاءت . فتنهَّدت ثم أخذت في الكلام فقالت : « انت هو الرجل الاوَّل والاخير الذي أكاشفه بما في نفسي... واني سأجهد قواي لأروي لك الخبر بتمامه . لتكون على بصيرة فيما ستفعل وقد اخترتك لهذه الغاية لما بلغني عنك من صفاء السريرة والخبرة بأحوال الناس ، فاسمع :

« اني قبل أن تزوَّجتُ علقتُ بحب فتًى جميل الصورة دمث الاخلاق ، بَيْدَ ان والديَّ حالا بيني وبينه وحظَّرا عليَّ الاجتماع به ، لانه لم يكن من ذوي الثروة ، ثم أكرهاني على الاقتران بمن اختارا . وفي نهاية السنة الاولى من زواجنا

وضعتُ غلاماً وقفتُ عليه جميع عواطفي وحياتي . . ومات زوجي بعد ولادة الطفل بسنتين وكان حبيبي قد تزوّج ايضاً ، فلما علم بوفاة زوجي عاوده الحب واستيقظت عواطفه نحوي ، وأخذ يتردّد عليّ ويُكثر زياراته ... الى أن عُدنا الى عهد الحب وهام كلٌّ منا بالآخر ، وكنا نقضي أكثر الاوقات معاً ، لانخشى عذولا ولا نحذر رقيباً . ولا أظنك ياحضرة المحامي تشتد في ملامتي على هذا التهوّر في الحب ؛ لأني كنتُ وحيدةً فريدةً ، وقد مات والداي ، ولم يبقَ لي أنيس ولا من أشكو اليه وحدتي ، وكنتُ لا أزال في نضارة الصبا . . »

« نعم ان ذلك لا يُبرّرني ، وقد كان من الواجب الادبي عليّ أن لا أقبل الرجل في بيتي ، لانه ذو مرأة شرعيّة . غير ان الهوى كان قد تولاني بجملتي ، فلم أرَ شيئاً ولم أراعِ واجباً ، وتفرّغتُ للحب بكلّيتي وأصبحتُ عاشقةً معشوقةً . . وقضيتُ كذلك أربع عشرة سنة ، والايام لا تزيدني إلا اندفاعاً في الحب ، فلم أحسب لشيء حساباً . وقد تعرّفت بزوجة الحبيب وأظهرتُ لها الصداقة والمودّة ، وكان ذلك مني رياءً وخداعاً . . . »

« وكنتُ في أثناء ذلك أربّي ولدي ، والحبيبُ يشاطرني العناية بتربيته وتثقيفه ، ويُظهر له من العطف والحنان ما يفوق الوصف ، وكان الغلام يحبّهُ ويرتاح للاطفته وارشاده الى أن بلغ السابعة عشرة من عمره . . »

« وكنتُ ذات يوم وحدي في المنزل أنتظر الولد والحبيب للعشاء . واني لكذلك اذ دخل الحبيب وحده ، فوقع على عنقي يقبّلني ويضمّني الى صدره .. وبينما نحن في ضمّ وعناق دعت انتباهنا حركةٌ في الغرفة ، فذُعرنا كلانا والتفتنا ، واذا بولدي « فريد » قد دخل أيضاً ووقف ينظر الينا وقد تجهّم وجهه . فأجفلتُ وارتعدتُ ولا تسل عمّا اصابني حينئذٍ من عوامل الخجل والهلع . . فدفعتُ عني الحبيب ، ومددتُ ذراعي الى ولدي كمن يستغيث به ويسأله الصفح ، غير أنه أعرض عني وخرج ، فلم أرهُ . . . . »

« ولبثنا نحن جالسين ساكتين ، وكلٌّ منا يتبع سير أفكاره . وقد شعرتُ بميل شديد الى الفرار ، والاختفاء ، والانتحار . ثم أجهشتُ في البكاء ، وصدري

تكاد يتمزّق . . . وكان الحبيب لا يزال واقفاً أمامي ، وقد اضطرب وذُعر ، ولم يعلم كيف يفاتحني الحديث . . الى أن تجلّد أخيراً وقال ـ اني ذاهب لأبحث عنه . لاقول له . . لا تقلقه بالرجوع الى هنا . . »

« ثم خرج ، وأقفتُ وحدي أتوقّع رجوع ولدي وفلذة كبدي ، وأنا في أشدّ حالات الهيجُ والقلق . وقد مرّت عليّ الساعات الطوال ، وأنا جالسة أناجي نفسي وأتأمّل في هذه الحالة الشقيّة التي لا أعتقدها لأكبر المجرمين »

« وفي منتصف الليل جاءني رسول يحمل اليّ رسالةً من الحبيب يقول فيها : « هل عاد ولدك ؟ . . اني بحثتُ عنه طويلا فلم أظفر به ، ولست أريد أن أزعجك بزيارتي الآن ، فالى الغد . . »

« فكتبتُ على الرسالة . « ان فريداً لم يعُد ، فيجب أن تجده . . » ودفعتُها الى الرسول »

وعُدتُ الى مكاني فجلستُ وعيناي شاخصتان وأفكاري مشرّدة الى الصباح ، وقد أصبتُ بحمّى محرقة ، ثم بعلّة دماغيّة لزمتُ الفراش بسببها بضعة أسابيع ، وأنا في غيبوبة متواصلة لا أعي شيئا مما حولي . . وكان خدَمي قد أيقنوا بجنوني ، فاستدعوا لمعالجتي الأطبّاء الى أن شُفيتُ . . ولما ثاب اليّ رشدي رأيت في مخدعي حبيبي جالساً بإزاء سريري كئيباً مغموماً ، فصحتُ به ـ أين الغلام ؟ »

« فنظر اليّ بحزن ولم يجب

« فقلتُ ـ هل مات ؟ . . هل انتحر ؟ . .

« قال ـ لا أعلم . ولكني دقّقتُ البحث عنه في كل مكان ، وأعلمت الشرطة بأمره ، فلم أجد مَنْ وقف له على أثر .

« فصحتُ به ـ أغربْ إذاً من أمامي ، ولا تَعُدْ الى هنا إلاّ والغلام معك »

« فخرج ، ولم أرَهُ منذ ذلك اليوم . . وقد تقضّت عليّ عشرون سنة بعد ذلك ، لقيتُ فيها أشدّ ضروب العذاب والبلاء ، ، أنتظر الغلام وأتسمّع أخباره ، ولكن بلا جدوى ، وقد ذهبت مساعيّ كلها سدًى . . . وها اني أموت الآن مغمومة نعيسة شقية ؛ وليس مَن يريّ لحالي فيكفكف عبرتي أو يدرأ عن قلبي الكثير مما يلقاه من

ألم الأحزان ... ولا أكتمك أن الحبيب كان يكتب اليّ ويتوسّل أن أسمح له بمقابلتي ، غير أني كنت أقابل طلباته كلها بالصدّ والجفاء ... »

« هذه قصتي يا حضرة المحامي ، وبينها لك وأنا أكاد أذوب غماً وحزناً ويأساً .. فاذا نظرتَ بولدي فاسألك أن تُفضي اليه بكل ما عرفتَ وأن تقول له . « لا تكن قاسياً نحو الضعف البشري الى هذا الحدّ ، واذا أنت لم تصفح لوالدتك في حياتها ، فاصفح لها في مماتها ، لأنها كابدت أمرّ العذاب وتحملت أنواع الغصص ... »

***

ثم ارتعدت المحتضرة وظهرت صفرة الموت على وجهها فقالت ـ « وقل له أيضاً اني لم أرَ ذلك الرجل هذه السنين كلها ... وأسألك الآن أن تتركني اموت وحدي ، اذ ليس منها أحد بجانبي ... »

***

فتركتُها وخرجتُ وأنا لا أملك عَبرتي ؛ وقد أثّرت فيّ حكايتُها تأثيراً مزعجاً ، وطفقت من ساعتي أبحث عن هذا الفتى ... وأنا أود من صميم القلب أن ألقاه يوماً لأدعوه ... بجرماً ... وقاتلا ...

القدس ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٧ خليل بيدس

كلمات رأس السنة

نسرد فيما يلي لحضرات القراء كلمات بالغات لفظها في رأس السنة بعض عظماء الرجال واليك البيان

الملك جورج

أجاب الملك جورج على تهنئة محافظ لندن بعيد رأس السنة بما يأتي : أشكركم على تمنياتكم الطيبة واني مؤمن كل الايمان بقوة الروح الانكليزية ومن صميم فؤادي أشاطركم تلك الاماني التي تمنيتموها لمملكتنا وأخصها قولكم أن توحيد الجهود لاحراز الثقة الطيبة المتبادلة وقوة الارادة يدعو الى نمو صناعتنا وانتشارها انتشاراً